استشراف المستقبل في الإسلام بين الطرق المشروعة والطرق الممنوعة

Anticipating the future in Islam between legitimate methods and prohibited methods

ط.د/ سيف الدين شاعة

جامعة ابن خلدون – تيارت (الجزائر)

sifeddine.chaa@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2024/04/29 **تاريخ القبول: 2024/06/06**

ملخص:

رغبة الإنسان في أن يكون فاعلا ومؤثرا في مستقبله جعلته يُسخر الأسباب لذلك نجد في التاريخ حضارات قديمة تعلقت بالمستقبل وحاولت التنبؤ به كالحضارة الإغريقية والفرعونية بما توفر لديهم من طرق وأساليب، إنّ المستقبل غامض بخباياه وأسراره ولذلك تعددت سبل ووسائل استشرافه، وقد كانت الحضارة الإسلامية أيضا من ضمن المهتمين بالمستقبل، حيث يوجد نماذج كثيرة لذلك في القرآن والسنّة وهي من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

يهدف هذا البحث إلى تحديد كيفية استشراف المستقبل في الإسلام، عملنا فيه على تحديد المفاهيم وتقديم بعض النماذج والأمثلة التي وقفنا عليها وصفا وتحليلا.

الكلمات المفتاحية: التنبؤ، المستقبل، الدين الإسلامي، الاستشراف، الحضارة الإسلامية.

Abstract:

The human's desire to be active and influential in his future made him harness the reasons for it. In the history, we find ancient civilisations that were related to the future and tried to predict it, such as the Greek and Pharaonic civilisations - with their available ways and methods - The future is unknown, as well as its secrets. There are many ways and means of foreseeing it and the Islamic civilization was also amongst those who were interested in the future, as there are many models for this in the Qur'an and Sunnah, which is one of the miracles of the Prophet Muhammad, peace be upon him.

This research aims to determine how to foresee the future in Islam, in which we have identified concepts and provided some models and examples that we stood on in description and analysis.

keywords: Prediction, future, Islamic religion, foresight, Islamic civilization.

مقدمة:

اهتم الإنسان منذ القديم بالمستقبل وأراد أن يتعمق في هذا المجهول ليفهم حاضره أكثر ويحدد محله فيما بعدهُ، فنجد في التاريخ "الحضارة الفرعونية والإغريقية من حيث اعتماد الملوك على السحرة والمنجمين لمعرفة المستقبل، وكانت أكثر الفترات التي استُخدم فيها السحر على نطاق واسع من أجل التنبؤ هي الفترة الفرعونية الطويلة. اشتهر من الأنبياء بمعرفة المستقبل سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام الذي كان يخبر قومه بما لا يعلمون من شؤون المستقبل كجزء من الرسالة السماوية التي جاء بها"[1]، وقد عبر القرآن الكريم بوضوح عن خاصية التنبؤ التي قام بها المسيح عليه السلام لقومه، جاء في القرآن الكريم ﴿أُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، كان عيسى عليه السلام يُنبئ بني إسرائيل بما يأكلون من طعام سار في أجسادهم –وهو غائب أثناء تناولهم هذا الطعام– وما يَدخرونه للأيام القادمة، وهذه الأمور بمثابة حجّة وبرهان على نبوته وآية للتأمل والتدبر.

نلاحظ مما سبق أن المستقبل هو استفهام يسوده الغموض، إنّ القدرة على تفسيره وتحليل معطياته لا تكون للبشر العاديين بل للصفوة منهم؛ عرف طريقين: الأول فعل السحرة والمنجمين عن طريق استعانتهم بالجن والطلاسم، أمّا الثاني: فهو وحي ومعجزات الرسل والأنبياء.

إنّ الفضول لمعرفة الغد دفع بالإنسان إلى تسخير الإمكانات البشرية والمادية من أجل تفادي كوارث أو أزمات معينة مثل: الأزمات الاقتصادية، أو مواجهة الأخطار كالصراعات والحروب أو لأجل تطوير الإمكانات وتسهيلا للحياة مثل الاختراعات وتعميم التكنولوجيا لتمس جميع مجالات الحياة...إلخ، سخر العلماء والمفكرين طاقاتهم في مجالات تخصصهم

المختلفة؛ العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية والاقتصادية...إلخ، بعدما كان المستقبل محط اهتمام الأفراد تحوّل إلى مجال بحث بين الدول والمجتمعات فأخذت الدراسات العلمية تصيغ نماذج الاستشراف، تبحث في المآلات عبر معطيات الواقع.

نشط الاشتغال على المستقبل وفق ثلاث محاور أساسية هي[3]:

1- دراسات تكنولوجية Technologically Oriented التي تناولت تأثير التكنولوجيا على مستقبل المجتمعات الإنسانية والأنظمة.

2- دراسات سياسية اجتماعية Socio Politically Oriented بحثت قضايا الدولة والمجتمع وتفاعلهما.

3- دراسات العولمة Globalistically Oriented.

هذه الفروع نشطت فيها الرؤى الاستشرافية حيث نجد في الشق الأوّل: ينصب الاهتمام على الآلة والتقنية ومصير الإنسان معها وبها، أما الشق الثاني: فيتضمن الاهتمام بالعلوم الانسانية والاجتماعية التي تجعل من الإنسان جوهر الحياة لذلك جعلته الدراسات الاستشرافية مركزا تسعى للإحاطة به وبنشاطاته وما يصدر عنه من أفعال وقرارات تتوقف عليها مصالحه وعلاقاته، فالإنسان في تفاعل دائم مع أخيه الإنسان ومحيطه الذي يعيش فيه؛ سواءً كان بين الأفراد أو المجتمعات أو الدول، بينما النوع الأخير انصب حول دور الإنسان في عالم يلغي الحدود الجغرافية والفروق بين الناس يتجه نحو نموذج عالمي موحد تتزعمه الرأسمالية وتهيمن عليه، يحتاج الأمر لتخطيط وتسخير للمؤهلات من أجل بلوغ الأهداف المسطرة.

إن خوض هذا البحث نابع من حوافز نفسية ورغبة معرفية، فضلا على أسباب موضوعية أهمّها: الفهم الخاطئ لأحاديث استشراف المستقبل في الإسلام التي أثمرت يأسا واستسلاما لدى الكثيرين، دون بذل جهد لفهمها على الوجه المطلوب ولا القيام بالمهام المنوطة كمؤثرين وفاعلين في مستقبلنا، فكان من واجبنا نفي النظرة السلبية وشحن الهمم لتشجيع الاستشراف المحمود في أذهان المسلمين، فالقادم وما يصحبه من تطورات يمنحنا

القدرة على الإفادة من العلم وتراكمات المعرفة وإعمال العقل لبناء الغد بقرارات حكيمة وإرادة حرة، حيث انطلقنا في صياغة بحثنا من مجموعة أسئلة أذكر منها:

– هل نستطيع معرفة المستقبل ؟ ما هي طبيعة الدراسات الاستشرافية وما هي أنواعها ؟

– ما هي قدرة الإنسان على اكتشاف الحقائق الغيبية ؟

– ما هي نماذج الاستشراف في شريعتنا الإسلامية وما مشروعيتها ؟

للإجابة على الأسئلة السالفة، حدّدنا مفهوم الاستشراف في العلوم الإنسانية ومشروعيته في الاسلام، يليه ضرب شواهد مستمدة من الإسلام وضرب أمثلة، مستأنسينا في ذلك بدراسة آيات بيّنات وما ورد في السنّة الشريفة حول الموضوع.

1– مفهوم الاستشراف:

1–1– لغة: استشرَفَ من الفعل الثلاثيّ شَرَفَ "أشرَفَ الشيء على الشيء: عَلاه وشَارَف الشيء: دنا منهُ وقَارَب أن يظفَر به وتشرّف الشيء واستَشرفَهُ وضع يديه على حاجبيه كالّذي يَستظل من الشمس حتى يبصِرَهُ ويَستَبينَهُ، ويُقال أشْرَفتُ الشيء عَلَوتُهُ وأشْرَفتُ عليه، اطَّلعت عليه من فوق"[4]، الاستشراف في اللغة اتسع مدلوله ليحمل معان عدّة منها: العلوّ والدُنوّ والابصار والاستبانة وأيضا الاطلاع.

استشراف prospection: لفظ اقترحه موريس بلوندل، تدلّ هذه الكلمة على الفكر المتجه نحو الفعل، فيمرّ أولا بالمعرفة النوعية والسكونية كما يمرّ بغاية مستقلة، والاستشراف هو (علم المستقبل) مثل الاسترجاع (علم الماضي) يتضمن تيقضًا، ورويّة فريدة من نوعها"[5] مصطلح الاستشراف يدل على علم دراسة المستقبل عن طريق استغلال معرفة آنية حاضرة وتسخيرها لأهداف مستقبلية مشفوعة بتخطيط وحكمة، حيث تجتمع المعرفة والخبرة والإرادة، لا تتاح العملية لعامة النّاس بل للمتخصصين منهم والمؤهلين فقط.

1–2– اصطلاحا: جاء في تعريف الاستشراف أنّه "اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة والتي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع أو مجموعة من المجتمعات عبر فترة زمنية مقبلة تمتد إلى ما بعد 20 سنة، كما عرفه آلان غراس Gras Alain بأنه تأمل للحاضر ووضع بدائل من خلاله للمستقبل من شأنها أن تعطينا صورة عن

مجتمع الغد"[6]، حسب هذا التعريف هو علم ودراسة مقننة لها معايير خاصة، مدتها تفوق العشرين سنة، تركز على جوانب محددة ووضع معين عبر إحاطة بالمشكلة وأبعادها والإفادة من الماضي وخبراته لأجل فهم الحاضر ثمّ محاولة التأثير على المستقبل وهذا الأخير مقيد بالزمنين السابقين بحثا عن بدائل لتحسين ظروف أو معالجة قضية ما، وهو يدخل في خدمة المجتمعات والإحاطة بمشاكلها وحاجاتها لتوفير البدائل الأنسب مثل: التخطيط للتنمية المستدامة ومجتمعات ما بعد النفط وعلاقات الدول ببعضها ... وغيرها.

جاء في تعريف آخر أن: "استشراف المستقبل هو اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صوغ مجموعة من التنبؤات المشروطة والتي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع ما، أو مجموعة من المجتمعات وعبر فترة مقبلة تمتد قليلا لأبعد من عشرين عاما وتنطلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الماضي والحاضر، لا يستبعد أيضا إمكانية استكشاف نوعية وحجم التغيرات الأساسية الواجب حدوثها في مجتمع ما"[7]، أي أنه دراسة علمية تنطلق من فرضيات واقعية، تحاول صوغ نتائج علمية لحالة ما بعد فترة زمنية معينة من أجل اكتشاف التغيرات والتحكم في الأمور على الهيئة التي يُرادُ لها.

من خلال التعريفين السابقين يمكن القول إن: الاستشراف هو تحليل استكشافي مشروط ومضبوط بمتغيرات وظروف يتطلب إحاطة بوضع معين ويُسخر في العملية إمكانيات مادية وبشرية هدفها معالجة نقاط رئيسية في الراهن لتُثمر في مدة زمنية معينة يُنطلق في العملية صياغة فرضيات وطرح احتمالات ثمّ العمل عليها لاستباق معرفة تطور وضع ما وما يتولد عنه كالأخذ بمعطيات الحاضر لمعرفة عدد السكان في دولة معينة بعد 30 سنة أو تحقيق أهداف مرجوة مستقبلا بتوفير الأسباب اللازمة لذلك مثلا توفير سلعة معينة نادرة في السوق، بعد الدراسة الاستشرافية وتوفير الأسباب مثل: الآلات واليد العاملة والخبراء، يزيد الانتاج ويتحقق الاكتفاء الذاتي ويُتوقع رفع فائض انتاج للتوجه نحو التصدير.

نجد في الوجهة نفسها مصطلح "علم المستقبل" والذي يعني: "مجموعة من البحوث والدراسات التي تهدف إلى الكشف عن المشكلات ذات الطبيعة المستقبلية، والعمل على إيجاد حلول عملية لها، كما تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل المتغيرات المتعددة

للموقف المستقبلي، والتي يمكن أن يكون لها تأثير على مسار الأحداث في المستقبل"[8] ومنه فالاستشراف وعلم المستقبل يحملان نفس المعنى، ألا وهو الاهتمام بالمستقبل وقضاياه وما يمكن أن يُحدثه الإنسان من تغيير إيجابي فيه.

2- طبيعة الدراسات المستقبلية:

توّسع الجمعية الدولية للمستقبلات من مفهوم الدراسات المستقبلية على أساس طبيعتها من خلال أربعة عناصر رئيسية هي:

- أنها الدراسات التي تركز على استخدام الطرق العلمية في دراسة الظواهر الخفية.
- أنها أوسع من حدود العلم؛ فهي تتضمن الجهود الفلسفية والفنية جنبا إلى جنب مع الجهود العلمية.
- أنها تتعامل مع نطاق لبدائل النمو الممكنة، وليس مع إسقاط مفردة محددة للمستقبل.
- أنها تلك الدراسات التي تتناول المستقبل في آماد زمنية تتراوح بين 5 سنوات و50 سنة"[9]. وقد حددت الجمعية الدولية للمستقبلات أنماطا نذكر منها:

أولها: المنهج والطريق فهي تعتمد المنهج العلمي في دراسة الظواهر والحالات. ثانيها: الاستعانة بالفنون والفلسفة في عملية تفسير الظواهر. ثالثها: تقديم الفرضيات أو البدائل المقترحة والتغييرات الممكنة دون عملية إسقاطيه آلية وإضافة مفردة (مستقبلا) لقضية ما، ثمّ التعامل معها على أنها دراسة مستقبلية مثل قولنا: (جهود المجلس الأعلى للغة العربية) ثم نسقط كلمة (مستقبلا) ونعتبرها دراسة مستقبلية – إخلال بالشروط – إذا قلنا (جهود المجلس الأعلى للغة العربية مستقبلا) يجب تقديم نظرة علمية حقيقية ومقترحات للقضية وفرضيات مشفوعة بحلول تتناسب مع الوضع الراهن والنتائج المراد تحقيقها في فترة زمنية معينة تكون بين خمس وخمسين سنة مقبلة وهو آخر عنصر اشترطته الجمعية الدولية للمستقبلات.

3- الاستشراف في الإسلام:

اعتنت الشريعة الإسلامية بالمستقبل عناية خاصة لأنه هو الزمن الحقيقي الذي تبدأ منه الحياة الحقيقة وأما الماضي والحاضر فيخدمان هذا الزمن وهما بمثابة اختبار يُحدد مكانة

صاحبه فيما بعد، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[10]، يُخاطب الله عزّ وجلّ أهل الإيمان (الذين آمنوا) بالتقوى والحرص على أن ينقذ الإنسان نفسه في الغدّ، كل إنسان رهين عمله فإن أحسن فلنفسه وإلا فعليها، والغدّ هنا هو يوم القيامة أو يوم النتيجة، فيه تستوفي الأنفس ما ادخرته لذلك اليوم، يقول الطاهر بن عاشور في كتاب التحرير والتنوير إن القرآن الكريم أطلق "لفظة غد على الزمن المستقبل من باب المجاز وحتى يتقرب المعنى ولتقريب الزمن المستقبل من البعيد لملازمة اقتراب الزمن لمفهوم الغَد، لأنّ الغد هو اليوم الموالي لليوم الذي فيه المتكلم، فهو أقرب أزمنة المستقبل لليوم الذي يعيشه المتكلم"[11]، قرّب الله لفظة الغد مجازا وكأن عمر الإنسان يوم أو فترة زمنية محدودة يعيشها، مهمته أن يفدي نفسه فيها بالإحسان والإصلاح، كما شدّد المولى على التقوى، فجاءت حياة الإنسان بين خطابين عن التقوى (اتقوا الله) وهي أفضل ما يمكن أن ينجي الإنسان في الغدّ عند الله الكامل العلم الذي لا يخفى عليه شيء من عمل العباد وفعل المخلوقات.

نورد مثالا عن استشراف المستقبل سِيق في القرآن الكريم – قصة جعلها الله عبرة لأولي الألباب – وهي قصة نبي الله يوسف – عليه السلام– وفيها يذكر القرآن لنا مشروع تخطيط للاقتصاد الزراعي لمدة خمسة عشر عاماً لمواجهة أزمة غذائية، جاء في القرآن الكريم على لسان سيدنا يوسف ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ(49)﴾[12]، أمر سيدنا يوسف عليه السلام قومه بأن يزرعوا سبع سنين تباعا واجتهادا وإذا حان وقت الحصاد يَدَعون الحَبّ في سنبله لكي يبقى أطول فترة ممكنة فلا يطرأ عليه فساد أو تعفن، ويأكلون على قدر الحاجة والادخار يكون أضعاف ما يأكلون، لأنه سيُقبل عليهم سبع سنين تحبس الأرض خيراتها، يكون فيها جدب وقحط وجوع، فيستعينون على هذه الظروف والأوضاع بما ادخروه من حَبٍ ليحفظوا حياتهم ولا يتركون للزراعة إلا القليل – سنين عجاف يصل فيها القوم إلى مشارف الهلاك– بعدها يأتي عام الفرج، تُخرج الأرض خيراتها وتُكرم بسخاء

أهلها، فيأخذون حاجتهم وأزيد، على سبيل المثال فاكهة العنب يأكلون ويدخرون ويعصرون دلالة على وفرة الانتاج فيتنوع استعمال الشيء الواحد من غرض إلى عدة أغراض.

كان تأويل هذه الرؤية أن صيغت خطة اقتصادية ممنهجة ومفصلة لمواجهة خطر مستقبلي تمثل في الجوع والجدب وقد تجاوز بنو إسرائيل الأزمة بفضل إرشادات واستشراف نبي الله يوسف عليه السلام لمستقبل أمته، ومن هذه القصة نستنتج:

1- أنّ الاستشراف قد يكون عن طريق الوحي وهو من معجزات الأنبياء لأقوامهم ومما أيد الله به رسله لإقامة الحجة على أقوامهم.

2- أنّ الاستشراف يتطلب بداهة وإحاطة عميقة بمسألة واطلاع على تجارب سابقة وقدرة على قراءة معطيات الحاضر للإفادة منها في المقبل من السنين.

3- أنّ الاستشراف غير متاح للعامّة، يكون لخاصّة البشر الذين يُعملون عقولهم ويتدبرون في قضايا واقعهم الثقافية والحضارية ومآلاتها، إضافة إلى قدرتهم على طرح البدائل وصياغة الحلول.

تتم عملية استشراف المستقبل من خلال "دراسة الواقع وربط أحداثه وما يليه وما يترتب عليه، وبالتالي صياغة فهم يتناسب ومتطلبات النجاح وتجاوز الأزمات ويلي ذلك كله صناعة المستقبل بما يتناسب والدور الذي أناطه الله تعالى للأمة الإسلامية من جهة وبما يتوافق مع مراد الله تعالى من خلق الكون من جهة ثانية. فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية نصّت وطلبت من المسلمين العمل على الاهتمام بمستقبلهم الدنيوي، وصياغته وفق أوامر الله تعالى وإرادته، لكسب مستقبل دنيوي آمن وسعيد، فنحن بالنظر إلى هذا وذاك مأمورون أن نُحكم العدّة، ونُتقن التطلع، ونتفنن في امتلاك أدوات الاستشراف التي تعين على جلاء الصورة ووضوح الطريق، وفق شرع الله تعالى وما ينشد من خير للبشرية"[13] يكون استشراف المستقبل في حدود ما أمر الله به وما يخدم الإنسانية لأنّ الاستشراف مضبوط بوازع ديني وأخلاقي يُرجى منه الخير والنفع العام، خاصة مع تعلق بالأمن والتعليم والخدمات وجميع مجالات الحياة التي تستدعي نظرة علمية تفاؤلية للغد بصياغة نماذج مبتكرة وخادمة لوضع المجتمعات والأمم بُغية تحقيق حياة أفضل وأرقى.

4- الطرق المشروعة لاستشراف المستقبل في الإسلام:

دعا ديننا الحنيف إلى مجموعة طرق لاستشراف المستقبل بعضها خص الله به الأنبياء والرّسل كالوحي، وبعضها الآخر كان للصالحين والعلماء وهم من خير البشر على وجه البسيطة وسنحاول في هذا المقام تقديم أمثلة من اختيارنا لأجل التوضيح:

4-1- الوحي المنزل على الأنبياء والرسل:

مثل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن زوال مملكة الروم ومملكة الفرس وفتح القسطنطينية "قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لَتُفْتَحَنَّ القُسطَنْطِينِيَّةُ فلنعمَ الأميرُ أميرُها ولنعمَ الجيشُ ذلك الجيش**) رواهُ أحمدُ والحاكم، هذا الحديث ذكره النبي عن فتح القسطنطينية وهي معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم، فقد فُتحت القسطنطينية والذي فتحها هو السلطان العثماني محمد الفاتح وجنوده، الذين مدحهم النبي صلى الله عليه وسلم بنص الحديث وقد تلقى المسلمون في أقطار الأرض خبر فتح القسطنطينية بفرح عظيم واستبشروا به فكان حدثا مباركا سرّ به المسلمون"[14] هذه النبوءة في الاستشراف ممّا تحقق وممّا لا يزال؛ وهي حقيقة مؤجلة نذكر نعيم وصفات الفائزين بالجنّة وجزاء الآخرة يقول الله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِـذٍ مُّسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِـرَةٌ (39) وَوُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41)﴾[15] جاء في تفسير الآية أن: "الوجوه المسفرة المضيئة، متهللة فرحا وعليها أثر النعيم، فرحة ومسرورة وهذه وجوه أهل الجنّة المُطمئنين بالا والمكرمين حضورا، ووجوه أخرى معفرّة غبار مُهانة من الكرب والغمّ، مع أنّ الكُفر أعظم من الفجور لكن زيادة إلى الكفر يُنسب إليهم الفجور من خساسة العمل دلالة على فساد الاعتقاد والعمل"[16]، نلاحظ كيف أنّ أهل الجنة بدخولهم الجنة تغمرهم سعادة تنطبع على وجوههم سرورا، كانت لهم جزاء بعد أن نالوا رضى الله ورضوانه، بالمقابل أهل النار تضيق أنفسهم ويتملكهم إحساس الندم والحسرة وصدمة الخسران تغشى وجوههم، يوم القيامة الناس صنفان سعيد أو شقي.

أيضا من الأحداث المستقبلية التي تدعو إلى استشراف المستقبل وتمَثله نجد السنن الكونية التي تستدعي التأمل، على سبيل المثال: سنّة نصر الله للصالحين من عباده

وتمكينهم في الأرض وهي سنة إلهية تجري على الخلق إلى قيام الساعة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[17]، مهما طال واستحكم الباطل سينتهي وينتصر الحق وهذا وعد الله لرسله وللمؤمنين، نجد أيضا مما يدخل في سياق الاستشراق؛ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عدّة أحاديث هي أمارات وعلامات تنذر بفناء الدنيا وقيام الساعة وقد حدّدها العلماء بعلامات صغرى وأخرى كبرى، من العلامات الصغرى قوله صلى الله عليه وسلم (**لا تَقُومُ الساعَةُ حتي يكثُر الهرَجُ، قَالُو ومَا الهَرَجُ يا رَسُول الله ؟ قال: القتلُ، القَتلُ**)[18]، يعني هذا أنّ النفس تصبح رخيصة عند قاتلها ويكون القتل لأتفه الأسباب ودون وجه حقّ، تنتشر الحروب وتُستعمل فيها الأسلحة الفتاكة وتُزهَقَ الأرواح لتصير حياة الإنسان مستباحة لأهون الأسباب وهذا بلا شك من الأمور العظيمة التي تُغضب الربّ الواحد.

4-2- الرؤيا الصالحة:

الرؤيا الصالحة هي بشرى للمؤمنين والصالحين وكرامة من الكرامات "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**رُؤيا المؤمن جزء من ستّة وأربعين جزءا من النبوّة**)، عن يحي بنِ أبي كثير، عن أبي سلمةَ، عن عُبادة بن الصّامت، قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه: (**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**) قال: (**هي الرؤيا الصالحة يراها المُسلم أو تُرى له**)"[19]، الرؤيا مما يستبشر به الرجل الصالح يرى فيها أحداث مستقبلية أو أمارات توجهه أو تحذره من شيء أو تحفزه لأمر وهي ما تَبقى من بصيرة وكرامة وتعدّ جزء يسيرا من الوحي.

4-3- الدعاء والاستخارة:

الاستخارة معناها: "طَلَبُ الاخْتِيَارِ، أَيْ طَلَبُ صَرْفِ الْهِمَّةِ لِمَا هُوَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ اللَّهِ وَالأَوْلَى بِالصَّلاةِ، أَوْ الدُّعَاءِ الْوَارِدِ فِي الِاسْتِخَارَةِ"[20]، أي طلب الخير من الله الذي أحاط بكل شيء علما أن يعينك في اختيار أمر ويقرب منك خير المسألة ويصرف عنك شرّها وقد ورد لها دعاء خاص عن النبيّ صلى الله عليه والسلام، كما أن الدّعاء عامة هو عبادة وسلاح المؤمن في الحياة فبه يجلب خير أو يدفع ضرر ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ

لَكُمْ﴾[21]، وهذا أمر من الله عزّ وجلّ للمسلم بأن يدعوه في جميع شؤونه ويُفرده بالعبادة والطلب وهو يتولاه بالإجابة فيرحمه ويحقق حاجته بعلمه وحكمته.

4-4- الخبرة والتجربة:

استشارة أصحاب التخصص والخبرة في الحياة "فالرجل المجرِب هو الذي يعرف الأمور وتجاربها بالاختبار، وقد ورد في السنة النبوية ما يؤيد على أن التجربة لها مكانة في استشراف المستقبل ومثال ذلك أنّ موسى عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج نصح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى ربه ويسأله التخفيف في الصلاة لأنه جرب قومه فلم يقدروا عليها وقال: (إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك)"[22] إنّ تجريب سيدنا موسى عليه السلام لقومه بني اسرائيل في عبادة الصلاة جعله يأخذ فكرة عن العبادة وعن قومه الذين لم يُطيقُوا أقل مما فرضه الله على أمّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فنصحه بأن يرجع إلى ربه ويسأله التخفيف – ذلك ما كان عاد نبينا وسأل التخفيف– بعد ذهاب وإياب استجاب الله برحمته لرسولنا وفرض علينا خمس صلوات آخر المطاف، يعادل أجرها خمسين صلاة في اليوم والليلة.

وفي السياق نفسه؛ جاء في سورة الكهف ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[23]، كان القوم الذين ذُكروا في سورة الكهف في قصة ذو القرنين قد ذاقوا بفساد يأجوج ومأجوج في الأرض لكن لم يستطيعوا صدّ آذاهم لذلك استعانوا بالرّجل الصالح وعلمه كي يصنع لهم سدا يقيهم شرّ هؤلاء المخلوقات ويبني لهم جدارا عازلا يفصل بينهم، هذه النماذج فيض من غيض وهناك الكثير غيرها، أثنى الله في القرآن الكريم على العلماء قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[24]، تؤكد هذه الآية على أهمية العلماء والمفكرين في المجتمعات وعلى دورهم العظيم في البناء والإصلاح، كما تُظهر رفعة درجاتهم عند الخالق.

5- الطرق غير المشروعة لاستشراف المستقبل في الإسلام:

عرفت البشرية طرقا أخرى لاستشراف المستقبل، منها ما تنافى مع الدين الإسلامي الذي "وضع ضوابط متعددة لاستشراف المستقبل لتمييز المنهج الإسلامي عن المناهج الأخرى على أسس واضحة وبعيدة عن الرجم بالغيب في الكهانة والتنجيم وغيرها، عن معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال (**فلا تأتوا الكهان، قال قلت: كنا نتطير، قال: ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**)"[25] وفي هذا نهي عن إتيان الكهان وكل ما شابه ذلك من سحر وقراءة الطالع، "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**اجتنبوا المُوبقاتِ: الشّرك بالله والسّحر**)"[26] جعل الله الشرّك والسحر من كبائر الذنوب لأنّها محبطة للأعمال والسحر هو نوع من الشرك، مفسدة لحياة الناس وأكل لأموالهم بالباطل.

6- الفرق بين الاستشراف والكهانة والتنبؤ:

بعد تقديم فكرة عن الاستشراف والدراسات المستقبلية، لا مناص من التفريق بينهما وبين التكهن وما شابهه وقد جاء في معنى "الكهانة هو الإخبار ببعض الغائبات عن الجنّ أمر معروف عند الناس وأرض العرب كانت مملوءة بالكهان، وإنما ذهب ذلك بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم يكثرون في كل موضع نقص فيه أمر النبوة فهم كثيرون في أرض عباد الأصنام ويوجدون كثيرا عند النصارى ويوجدون كثيرا في بلاد المسلمين حيث نقص العلم والإيمان بما جاء به الرّسل"[27]، إذا هو إتيان الكهنة والعرافين والتنجيم وقراءة الكف والأبراج السماوية وغيرها، يرجع الاهتمام بهذا الفعل نتيجة لانتشار الجهل والبعد عن الدين كما أنه يتنافى مع العقيدة والإيمان الصحيحين، لذلك يجب استشراف المستقبل حسب الطرق الشرعية المباحة.

- ومن الفروق بينهما أذكر:

– الاستشراف أو علم المستقبل هو علم محكوم بمسببات وشروط منظمة، يُنطلق فيها من خبرات وتجارب الماضي وتساؤلات الحاضر، هو محاولة معرفة وضع ما أو قضية على مدار فترة زمنية محصورة بين خمس سنوات وخمسين سنة عند أهل الاختصاص ويقوم بالعملية

مختصون، يتبعون في ذلك مناهج للدراسة وأيضا اعتماد معدات مثل ورشات العمل ومعدات تكنولوجية، كما أن نسبة نجاح الاستشراف تكون تقريبية أحيانا تصيب إذا بقي الوضع على حاله، وفي مرات أخرى تخطئ العملية إذا طرأ تغير على المسببات والمقدمات.

– التكهن بأمر هو: عملية زمنية عكسية تنطلق من المستقبل إلى الحاضر، يقدم فيها المتكهن انطباعاته أو يجزم بوقوع أمر على يقين لكن دون تقديم أدلة منطقية عقلية تتجاوز نطاق العقل ويدخل ضمنها السحر والتنجيم وقراءة الطالع ... إلخ، في غالب الأحيان تكون الجهود فردية تعتمد على حذق وخداع الفاعل.

– أما التنبؤ الإعجازي يرتبط بالمعجزات الربانية؛ "فالمعجزة هي الفعل الخارق للعادة، أو قيل هي الفعل الخارق للعادة المقرون بالتحدي، أو قيل مع ذلك الخارق للعادة السليم عن المعارضة"[28] التي كانت على يد الأنبياء والرسل والصالحين منها: أشراط الساعة وعد الله بنصر رسله والصالحين واستخلافهم في الأرض، الجزاء والعقاب والغيبيات التي أخبر عنها القرآن الكريم والأنبياء أقوامهم ...إلخ.

خاتمة:

توصلنا في بحثنا هذا إلى مجموعة نتائج أذكر منها:

– الاستشراف علم يهتم بالمستقبل ويُخطط له، يتطلب مختصين من ذوي الكفاءات والنظرة البعيدة وأصحاب التجربة إضافة إلى المعدات مثل مشاريع التنمية والبناء والتطوير.

– استشراف الأنبياء أعظم أنواع الاستشراف لأنه من الصفوة، يتأتّى عن طريق الوحي وهو حقيقة وأنموذج مثالي، نتائجه مضمونة أما استشراف المتخصصين فهو نسبي تقريبي، فيه الصائب والخاطئ.

– الاستشراف المبني على أسس علمية يدل على وعي المجتمع بنفسه وعلى تسخيره للعلم فهو يهتم بتفاصيل الحياة في محاولة للتغيير الإيجابي، كما أنّ الاستشراف يجعل الإنسان يتفادى العشوائية وعنصر المفاجأة في الأيام القادمة.

– الإسلام يحثّ على إعمال العقل والأخذ بالأسباب في سبيل تحقيق النفع والمصلحة العامة وديننا فيه نماذج كثيرة عن استشراف المستقبل والتخطيط له وجب الإفادة منها.

– أحلّ الله وشرع طرقا لاستشراف المستقبل تعود بالنفع والخير على المصلحة العامة والخاصة مثل: الاستخارة، الدّعاء، التخطيط العلمي الممنهج، ... إلخ، بالمقابل حرّم طرق الاستشراف التي تعتمد على النصب والخداع وأكل أموال الناس بالباطل، فَتُخلّ بعقيدة التوحيد وتضر الإنسان ماديا وجسديا مثل: الأبراج الكهانة والسحر.

الهوامش والإحالات

(1)– ينظر: عامر مصباح، الدراسات الاستشرافية النماذج والتقنيات، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، ع06، جوان 2016، ص 88.

(2)– سورة آل عمران، الآية (49).

(3)– العربي فاروق، مطبوعة بيداغوجية بعنوان: الاستشراف الاستراتيجي: المفاهيم، النماذج والتقنيات جامعة الجزائر3، 2019م/2020م، ص18.

(4)– ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، المجلّد التاسع، بيروت، مادة "شرف"، ص171–172.

(5)– ينظر: أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، المجلد الأول A–G ، 2001م، ط2، ص 1062–1063

(6)– جمال منصر، مطبوعة بيداغوجية بعنوان: الدراسات المستقبلية: ماهيتها ومناهجها، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2014م/2015م، ص 06.

(7)– إبراهيم سعد الدين وآخرون، صور المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985م، ط2 ص23.

(8)– جمال منصر، مطبوعة بيداغوجية بعنوان: الدراسات المستقبلية: ماهيتها ومناهجها، ص 04.

(9)– المرجع نفسه، ص 05.

(10)– سورة الحشر، الآية (18).

(11)– ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، ج 29 ص 111.

(12)– سورة يوسف، الآيات: 47، 48، 49.

(13)– يُنظر: خضر إبراهيم أسعد قزق، مذكرة ماجيستير بعنوان: استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم، جامعة آل البيت، 2008م، ص07.

(14)– ينظر: أطلع يوم 2023/04/10: https://www.souhnoun.com

(15)– سورة عبس، الآيات: 38–39–40–41.

(16)– ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 31، ص 137–138.

(17)– سورة محمد، الآية: (07).

(18)– أبو الحسين مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الحديث، كتاب الفتن وأشراط الساعة باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، 1412هـ/1991م، ج1، ص2215.

(19)– ينظر: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجة)، سنن ابن ماجة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، ص642

(20)– موقع صيد الفوائد، اطلع يوم 2023/04/10. http://saaid.org/bahoth/41.htm

(21)– سورة غافر، الآية: (60).

(22)– حاتم فزع شنيتر، نماذج من استشراف المستقبل في السيرة النبوية، مجلة مداد الآداب، ع5، ص394

(23)– سورة الكهف، الآية: (94).

(24)– سورة الزمر، الآية: (09).

(25)– حاتم فزع شنيتر، نماذج من استشراف المستقبل في السيرة النبوية، ص395.

(26)– أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي (194– 256هـ)، صحيح البخاري البشرى، 1437هـ/ 2016م، مج:01، ص2593.

(27)– تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، النّبوات، دار الكتب العلمية، لبنان، 1405هـ/1985م ص20.

(28)– مرجع نفسه، ص21.